

قهر الاغتراب و ترياقاته عند اريك فروم
Alienation and its antidot by Erich Fromm

بن اسباع طارق *¹، د. خالف نورية²

¹ جامعة مولود معمري-تيزي وزو- (الجزائر)، tariq.bensbaa@ummo.dz

² المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- (الجزائر)، khalef.ensphi0@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/01/24... تاريخ القبول: 2023/06/22.. تاريخ النشر: 2023/05/01.

ملخص: أزمة الاغتراب تعد بحق مشكلة الإنسان و المجتمع المعاصر، لذلك طالما نجد المفكرين و الفلاسفة يعالجون أزمة الإنسان في هذا العصر من خلال قضية الاغتراب. وقد أخذ اريك فروم على عاتقه تحليل هذه المشكلة وحاول تشخيص هذا المرض ذو الطابع الشمولي و تناول أشكاله المختلفة التي ساهمت في إنتاج إنسان مريض و عملت على ضياع الذات الإنسانية وانحائها. فيكفي أن تفتح عينيك على الواقع لتتلمس ذلك فنحن في قرن عدم الارتياح أو كما يسميه " فرويد" عدم الارتياح الموجود في الثقافة الذي أنتج إنسانا صار أفقر، مغترب الروح و العقل، فاسد القيم، انقلبت حاجاته إلى ضعف و تبعية ولم يعد يحس بهويته و حال دون كمال شخصيته.

ولم يقف فروم عند ذلك فقط بل قدم لنا في الأخير الدواء و العلاج والذي يظهر في جملة من المبادئ و الأسس التي تعمل على قهر الاغتراب و اقتحامه كان أهمها: "بعث الإيمان و مناهضة الصنمية"، "النشاط التلقائي و التوجه الإنتاجي"، إقامة مجتمع جديد و تحقيق المجتمع السوي "وفي الأخير " تحقيق و تشييد الاشتراكية الإنسانية".

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الإنسان، الذات الإنسانية، المجتمع السوي، الصنمية، الاشتراكية.

Abstract: Alienation has been always considered as one of the main issues that modern individuals and societies suffer from. Hence, we often come by philosophers and thinkers who treat modern world's issues through treating alienation. Erich Fromm focused on analyzing this issue and tried to diagnose this disease with its universal nature, while distinguishing its different forms that let to creating the modern days sick man and lead to the loss of human's self and eventual to it being wiped out. A look at reality is all it takes to see this. We are in the century of anxiety, or as Freud named it "Cultural Discontent". All that contributed in making a poor man with alienated soul and mind, a man who's lacking integrity, whose needs have turned into weaknesses and fellowship, who no longer connects to his identity and who cannot achieve personality perfection.

Fromm went ahead and prescribed the antidot and the treatment which included a variety of principles and basis that help treat and defeat alienation such as: "Rebuilding faith and iconoclasm", "Spontaneous activity and productive orientation", "New society and achieving sane society" and finally; "Achieve socialist humanism".

Keywords: Alienation, Human, human's self, sane society, iconoclasm.

توطئة (مقدمة):

التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يميز المجتمعات المعاصرة، كان هدفه خدمة الإنسان والعمل على تسيده للطبيعة واستغلالها لصالحه، لكن الحقيقة تقع مع ذلك على طرفي نقيض، إذ صنع منه إنسانا مفككا، يعيش عزلة وفراغا روحيا ولا يتكلم إلا لغة المادة ولا يتعامل إلا على أساس قوانين السوق والإنتاج والربح المادي، هذا ما أدى إلى اغترابه.

إن ظاهرة الاغتراب أو بالأحرى أزمة الإنسان الأساسية في المجتمع المعاصر كونها مرتبطة بالدرجة الأولى بالإنسان، جعل الكثير من الباحثين بتخصصاتهم المختلفة أنثروبولوجيين، علماء النفس وعلماء الاجتماع والفلاسفة يأخذونها بالبحث والتحليل، ولعل أهم من جسد هذا الاهتمام وأعطى لهذه الظاهرة حيزاً واسعاً في أبحاثه ومؤلفاته هو الفيلسوف الألماني " إريك فروم"، الذي كانت جل كتاباته تتميز بالطابع النقدي للمجتمع الصناعي المعاصر، وكان تركيزه أكثر على الإنسان بغية إصلاح وضعه ومحاولة إنقاذه وتعديل صورته المشوهة وبالتالي تجاوز الاغتراب وقهره ثم تقديم ترياقات له ومعالجته، هذا هو موضوع هذه الورقة.

تظهر أهمية دراسة هذا الموضوع من خلال أنها تسلط الضوء على ظاهرة تكاد تكون مرض الإنسان الحديث وهي من القضايا الإنسانية متداخلة الجوانب، وأكثر من ذلك هي منطلق ومبدأ للحديث عن الفرد السليم والمجتمع السوي الذي يسعى "فروم" لتحقيقه وتشبيده، وتهدف هذه الورقة إلى الوقوف على حقيقة اليوتوبيا الفرومية القائمة على إحداث تغييرات جذرية تمس الحياة الاقتصادية، السياسية والثقافية، وبالتالي معرفة الخطة التي وضعها فروم لقهر الاغتراب وتجاوزه.

هذه الأهداف وأخرى نحاول تحقيقها من خلال طرح الإشكالية الأساسية التي تظهر في التساؤلات التالية:

إذا كان هدف "فروم" كمثل لنداء الحياة هو انتشال الإنسان من مأزق سطوة التقنية وخواء الحياة الروحية والقيمية وسيطرة ثقافة التملك والاستهلاك. فما السبيل إلى ذلك حسبه؟

ماهي الأرضية التي أسس عليها عملية نقل الإنسان من مجتمع الصناعة والآلة إلى مجتمع الإنسان والكيونة؟ وبالتالي قهر الإغتراب؟

وعملاً بالقاعدة الاستنبولوجية القائلة أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد طبيعة المنهج فإننا اعتمدنا هنا على المنهج التحليلي والوصفي كأفضل آلية مساعدة على سبر أغوار هذه المشكلة ومعرفة كنه الخطة التي رسمها فروم في مهمته.

1. الاغتراب كأزمة إنسان :

ظاهرة الإغتراب تضعنا للوهلة الأولى وجهاً لوجه أما الإنسان، فهي قضية الإنسان، وهي تعود إلى تلك اللحظة المتعالية التي غربت فيها الجنة بنعيمها السرمدى على الإنسان، كما تعتبر من أهم إفرزات المجتمع التكنولوجي مما جعلها بحق مرض العصر.

1.1. الاغتراب و الفلسفة:

ما جعل الإغتراب مشكلة العصر كونه يعبر عن ضياع الذات الإنسانية وانمائها في زمن أكثر ما يميزه الانفجار العلمي والتطور التكنولوجي، زمن يحمل شعار خدمة الإنسان والرفع من قيمته لكن هيهات. ورغم كثرة ما كتب عن هذه المشكلة وتنوع الآراء والاتجاهات في تحليلها إلا أن تجاوزها واقتحامها مرهون بالدرجة الأولى بضبط سليم

لمفهومها أشكالها ومظاهرها، دون التقليل من شأن ما ورائها من أسباب. لذلك سنحاول الوقوف على حقيقة الإغتراب عند بعض الفلاسفة، خاصة من شكلوا الخط الفلسفي لإريك فروم.

جاء مفهوم الإغتراب في المعجم الفلسفي لجميل صليبا كمقابل للكلمة الإنجليزية "Alienation" والكلمة الفرنسية "Aliénation" وفي الألمانية "Entfrmdung"، وهو الكلمة اللاتينية "Alienatio" وتعني آخر، أو تعني الانتزاع أو الإزالة (صليبا، 1982، صفحة 765) (وقد جاء عند الأستاذ فيصل عباس بمعنى " الانتماء إلى شخص آخر، أو التعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ "ALUIN" الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو كصفة". (عباس، 2008، صفحة 19)

في الاصطلاح يأخذ عدة معاني مختلفة في تفاصيلها، متفقة في وحدة المعنى. من المعنى الاجتماعي إلى القانوني والديني، أما معناه السيكولوجي والفلسفي الذي يرتبط ببحثنا ارتباطا وثيقا، فهو في الأول يدل على " حالة فقدان الوعي أو الشلل أو قصور القوى العقلية أو الحواس لدى المرء فالإنسان يكون مغتربا إذا نأى عن عقله أو عجز عن استخدام حواسه (مساعدية، 2013، صفحة 12) وبالتالي فهو مرتبط بجملة الاضطرابات النفسية منها والعقلية التي يعيشها الفرد وما يعيشه جراء ذلك من غربة وانعزال وهروب من الآخرين. وقريبا من هذا المفهوم يؤكد أريك فروم أن " المعنى القديم للإغتراب كان يستخدم للدلالة على الشخص المجنون (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 32)

وهو في الثاني (المعنى الفلسفي) يختلف باختلاف التيارات الفلسفية ويتعدد بتعدد رؤى الفلاسفة، والبدء بـ"هيجل" الذي يعتبره الكثير من الدارسين لظاهرة الإغتراب هو السياق لاستخدام هذا المصطلح استخداما منهجيا مقصودا ومتصلا، حتى أطلق على "هيجل" أبو الإغتراب حيث تحول الإغتراب على يده إلى مصطلح فني (اللطف، 2003، صفحة 21) وما دامت هذه الدراسة خاصة بفلسفة إريك فروم فإننا سنقتصر في المعنى الفلسفي على أطروحة كل من سيغموند فرويد وكارل ماركس.

الإغتراب عند "فرويد" هو نتيجة لصراع بين مستويات الجهاز النفسي وخلصا للتصادم بين رغبات الإنسان وما تتطلبه الحضارة، وطالما أن عوامل القمع والكبت قائمة فإن الشعور يظل مغتربا في اللاشعور، ويشير فرويد إلى أن الإغتراب سمة متأصلة في وجود الذات، ولا سبيل إلى تجاوزه لأنه لا مجال لإشباع كل الدوافع الغريزية وليس بالإمكان التوفيق بين الأهداف والمطالب.

إن إشباع الحاجات من شروط المحيط تمكن الفرد من الوصول إلى حالة من الاتزان النفسي النسبي، أما الإخفاق في إشباع هذه الحاجات وعدم نجاحه في التوفيق بين مطالب المحيط الداخلي ومتطلبات البيئة الخارجية فيؤدي ذلك إلى اختلال توازن الفرد، ويظهر ذلك في الشعور بالإحباط والمعاناة، وتمثل بذلك تربة صالحة للضغط النفسي وللاضطراب النفسي الذي يشكل أحد مظاهره غربة الفرد عن نفسه وعن المحيطين به (ماجدة، 2008، صفحة 49)

أما الإغتراب عند ماركس فقد تحول إلى مفهوم اجتماعي اقتصادي، بعدما كان مفهوما فلسفيا خاصة مع "هيجل"، وهو يتخذ صورة فقدان الذات نتيجة لأزمات اجتماعية، وذلك ما قد يكون دافعا من دوافع الثورة الاجتماعية، بناء على هذا فإن الإغتراب يدل على أن الإنسان يصبح ضحية للعلاقات الإنتاجية المادية داخل المجتمع الرأسمالي، مما يجعله أكثر فقرا ومجرد سلعة، ويتخذ الإغتراب عنده أربعة أشكال هي:

- اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته، " فهو يعمل من أجل غيره ولخدمة إنسان آخر -صاحب العمل- وتحت سيطرته ولمصلحته، وهكذا تصبح حياة العامل ذاتها ملكا لغيره، وبقدر ما يتحول الإنتاج إلى قوة خارج إرادته بقدر ما يفقد سيطرته على حياته (بركات، 2006، صفحة 40)
- اغتراب العامل عن الطبيعة، فالإنسان يغترب عن الطبيعة عندما يتحول إلى وسيلة لسد حاجاته المادية كما العمل نفسه، ويتم ذلك بالمواظبة على استغلالها بدل أن يغتنى من خلال إقامة علاقة إيجابية متبادلة معها. (بركات، 2006، صفحة 41)
- اغتراب العامل عن عمله، فهو يغترب في نوعيه علاقته بعمله، إنه لا يختبر في عمله أي اكتفاء ذاتي وأي إبداع أو نمو، إذ نجده يتنكر لذاته ولا يشعر بالرضى.
- اغتراب العامل عن الآخر، فالملكية الفردية والخاصة تعمل على عزل الأفراد عن بعضهم البعض فلا يتعاملون مع بعضهم إلا من خلال تبادل السلع وليس فيما بينهم كأشخاص.

وبذلك فالإغتراب عند ماركس يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق ذاته كنشاط خلاق في العالم، بل أن العالم، الطبيعة والآخرين وهو نفسه تصبح مغتربة بالنسبة إليه، إنها تعلقه وتقف ضده على الرغم من أنها تكون من خلقه.

2.1. المجتمع الغربي و زيف الأسس:

الكثير من علماء الاجتماع والمفكرين الغربيين لا ينكرون تأثير الاقتصاد والمال على طبيعة العلاقات الاجتماعية والروابط البينية، كما لا يشكون في أن الهدف الأساس للتنمية الاقتصادية هو التمتع وإشباع رغبات النفس وبالتالي خدمة الإنسان. لكن واقع العالم الغربي الذي يترنح بين انفجار علمي وثورة تكنولوجية باهرة وبين معاناة الإنسان وفقدان ذاته وضياعه يضعنا أمام مفارقة سنحاول الوقوف عليها من خلال محاولة بيان زيف أسس هذه الحضارة كما قدمه فروم ثم لنقف بعد ذلك على أهم مخرجات هذه الحضارة وهي الإغتراب عن الذات.

الحديث عن مهمة فروم في نقد المجتمع الغربي تأتي في سياق المهمة الأساسية التي أخذتها مدرسة فرانكفورت على عاتقها، وهي التركيز على النقد وكشف تناقضات المجتمع الغربي الموازية مع الاهتمام بالإغتراب والتشويء كأمراض مميزة لها، وبيان علاقتها المعقدة بمثل عصر التنوير. إن ما اضطلعت بها النظرية النقدية هو الكشف عن أسس قيام المجتمع الغربي وتناقضاته بداية من مراجعة التراث الأوروبي، استنادا على أدواتها التحليلية والنقدية متعددة الجوانب، وكما "عني كل من هوركايمر وماركيوز بدراسة المشكلات الفلسفية، أوكل الجانب النفسي بالدراسة لـ "إريك فروم" (حكيمه، 2000، صفحة 6) الذي بحث في أبعاد وأشكال هذه الأزمة التي أصبحت تهدد الوجود الإنساني ولم تعد تعبر عن تلك القيم التي كانت تهدف إليها فلسفة الأنوار وتسعى إلى ترسيخها.

على الرغم من وصف عصرنا بأنه عصر التقدم العلمي والبحث عن الوسائل التي تهين للإنسان كل سبل الراحة وتضمن له الرخاء والرفاهية إلا أن أريك فروم لمس انحرافا في الحضارة الغربية حينما قدست المادة والاستهلاك وعبادة القوة حتى أصبح الإنسان كما يقال ترسا في آله، فمعظم منجزات هذا العصر سارت في اتجاه معاكس للطبيعة الإنسانية مما أنتج إنسانا مضطربا ومريضا، فيكفي أن تفتح عينيك لتلمس ذلك ولا تخدعك المظاهر، فنحن نعيش في قرن عدم الارتياح أو كما يسميه "فرويد" عدم الارتياح الموجود في الثقافة.

يرى فروم أن التطور الذي شهده الإنسان والتقدم خلق لديه أزمة هوية، أزمة بينه وبين ذاته، فقد أصبح أكثر اغترابا وتشويءا أو فقد هويته الحقيقية نتيجة لانحسار الوعي، وتراجع أمام النزعة الاستهلاكية يقول: "كل مقولات سيروية الوجود تتحول إلى مقولات متعلقة بالتملك، إن الذات الساكنة والتي لا تتحرك ترتبط بالعالم في إطار أنا أملك أشياء بينما النفس ترتبط بالعالم في سيروية المشاركة، وأن الإنسان الحديث لديه كل شيء، سيارة، منزل، عمل... مشكلات، اضطرابات، اشباع، وإذا كان ليس كافيا فإن لديه المحلل النفسي الخاص به، إنه (يكون) لا شيء. (فروم، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسة، 2010، صفحة 135)

إن فعل العقلانية الأدائية والاستهلاك المروع الذي تقف ورائه ترسانات الإنتاج العملاقة حول الإنسان إلى حالة كمية محسوبة حسب منطق التبادل الرأسمالي اللإنساني المخيف فأزمة الإنسان المعاصر في المجتمعات الغربية هي في الأساس أزمة عقل، هذا الأخير الذي تحول من عقل تنويري إلى عقل أدائي، (من قيم التنوير إلى قيم التدمير) بسبب الارتباط بالنزعة الوضعية وخطابها الاختزالي الذي جعل من العقل أداة لمعرفة الطبيعة والتحكم فيها فقط "والعقل الأدوات هو العقل المنصرف إلى كل ما هو عملي تطبيقي ونفعي بموجب النزعة الوضعية التي اختزلت وظيفة العقل في معرفة ما هو معطى بوصفه كذلك، أي الاكتفاء بالمنهج التجريبي واعتبار الرياضيات لغة العقل... لهذا السبب تم استبعاد القيم الدينية والجمالية والأخلاقية والفلسفية بما أنها لا تتطابق مع معايير الحساب والكم (بوميتير، 2010، صفحة 16).

لقد خلقت الحضارة الغربية مجتمعا لا إنسانيا، تنعدم فيه عرى التواصل والتماسك بين أفرادها، مجتمع يعد فيه كل فرد ذرة منفصلة عن الآخر، وكل فرد يعاني من الإحباط والعجز جراء التزايد الخطير لتلك الوسائل والأدوات غير الإنسانية خاصة بعد الثورة الصناعية التي أطلت الآلة محل الإنسان.

3.1. الإغتراب عن الذات عند فروم:

يتخذ فروم من الإغتراب أداة نقدية أساسية لنقد المجمع الرأسمالي وفضح مزلق الحداثة. وذلك ما نلمسه بصورة جلية في مجمل كتاباته، وعملية إدراك معنى اغتراب الذات وفهمها مشروط أولا بالوقوف على مفهوم الذات الأصيلة وهي الذات الفريدة غير القابلة للتكرار والتي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر، قادر على الحب والإحساس، ومبدع

لما يقوم به من أفعال، ومفهوم الذات الأصلية على هذا النحو يتضمن عدة مفاهيم هي التفرد، العقل، الحب والإبداع (حماد، 2005، صفحة 116) وفقدان هذه الصفات أو بعضها يجعل من الذات الأصلية ذاتاً زائفة "فالنفس الأصلية هي النفس التي أصل النشاطات الذهنية، والنفس الزائفة ليست سوى وكيل يمثل بالفعل دور شخص مفروض فيه أن يلعب ولكنه يفعل هذا باسم النفس، إن فقدان الذات واستبدالها بذات زائفة تترك الفرد في حالة متوترة من الزعزعة" (فروم، الخوف من الحرية، 1972)

ويرى فروم أن هناك ترابط كبير بين تفرد والعقل والحب والنشاط الخلاق لذلك فإن فقدان أحد هذه الصفات غالباً ما يفضي إلى إحلال ذات زائفة، والملاحظ هنا أنه يشير أيضاً إلى صورة أخرى من الاغتراب عن الذات تتعلق بالإنسان الذي فقد تفرده وباع نفسه للحشد وأصبح رأساً في القطيع.

ويتبين من كل هذا أن مفهوم الذات الأصلية عند فروم يرادف مفهوم الذات غير المغتربة التي حققت وجودها الإنساني المتكامل، كما أنه يضع التفرد كقيمة بالغة الأهمية وأساسية، الشيء الذي يجعله أساس السمات والصفات الأخرى التي تشكل صورة الذات الأصلية.

ونلمس صورة اغتراب الإنسان عن ذاته بصورة جلية عندما لا يعيش نفسه على أنه مركز عالمه وخالق أفعاله، وفي الوقت ذاته لا يكون متواصلاً مع نفسه ومع العالم خارجه بطريقة إنتاجية.

ومما يعتبر جوهر اغتراب الذات عند فروم العبادة الصنمية أو عبودية الأشياء وخضوع الإنسان لما يصنع بيده إلى درجة تحول هذه الأشياء إلى آلهة، يقول عن ذلك فيصل عباس "خضوع الإنسان للأشياء أو العبادة الصنمية هي لا تعني أن الإنسان يعبد عدة آلهة، وإنما يعني عبادة ذلك الشيء الذي يصنعه بنفسه، وفي هذا العمل يتحول الإنسان إلى شيء، إذ ينقل كل ما هو إنساني في داخله إلى الصنم، بدلاً من أن يحقق نفسه كذات أصلية فإنه يحقق ذاته بشكل مزيف عن طريق الخضوع للصنم، فكلمة نقل الإنسان إمكانياته وصفاته الإنسانية إلى شيء خارجه كلما أصبح هذا الشيء أقوى" (عباس، 2008، صفحة 361) ومعنى ذلك أن الإنسان يبذل كل طاقاته ويضع مجمل قدراته ووسائله لتحقيق شيء واحد هو صناعة وثن من أجل شيء واحد هو عبادته!

والوثن أو الصنم بمعناه الحديث يتخذ عدة صور وأنماط هي؛ عبادة المال والشهرة، السلطة والزعيم... ويبدو أن ما يقصده "فروم" بعبودية الإنسان للأشياء أو العبادة الصنمية "يتضمن أي فعل خضوعي بمقتضاه يغترب الإنسان عن ذاته، ولن تجاوز الحقيقة إذا استخدمنا عبارة العبادة الصنمية كبديل لعبارة الاغتراب عن الذات (حماد، 2005، صفحة 129)

وإلى جانب هذا نجد "فروم" أيضاً يربط بين مشكلة الاغتراب عن الذات ومشكلة الحرية. هذه الأخيرة ينظر إليها على أنها نوعين الحرية السلبية والحرية الإيجابية يقول "إن فهم المشكلة الكلية للحرية متوقف على النظر في الجانب السلبي والإيجابي لها، وليس في فقد أثر جانب منها واقتفاء جانب الجانب الآخر" (فروم، الخوف من الحرية، 1972، صفحة 90) وإذا كانت الحرية السلبية تفيد تحرر الإنسان من الإكراهات والقيود والسلطات الخارجية فإن ذلك غير كاف لاكتمال الحرية، إذ يوجد جانب آخر لا تخفى أهميته وهو تحرر الإنسان من داخله، هذا ما يجعل الحرية السلبية حرة مزيفة لأن ما يعتقده الإنسان في نفسه هو في الحقيقة مجرد وهم.

وبذلك فالاغتراب هو نتيجة حتمية للحرية السلبية "المزيفة" التي تجعل الإنسان يعتقد أنه صاحب قراراته وصانع ما يقوم به، إلا أنه في الحقيقة يفكر ويشعر ويقرر وكل ما يقوم به وفق ما هو سائد، وفق إرادة المجتمع وكذا ما تريده السلطات المهولة كالرأي العام والحس المشترك. وتحرر الإنسان من كل الروابط والقوى التي تحد من حريته واستقلالته وتعمل على تقييده لا يجعل منه منعزلاً ووحيداً أو قلقاً، هذا ما يدفع بالإنسان إلى محاولة البحث عن خضوع جديد، هو الخضوع للأشياء.

إن الإنسان عند "فروم" يهرب من الحرية السلبية إلى الخضوع للآخرين، إنه يهرب عن طريق التخلص من ذاته ليتحول من وجود لذاته (الوجود الإنساني) إلى الوجود في ذاته (وجود الأشياء)، هذا الهروب بمعنى أدق ينتج ذاتاً مغتربة عن ذاتها.

في الأخير يمكن الإشارة إلى أن الحرية السلبية والحرية الإيجابية حسب فروم غير منفصلتان فالأولى مقدمة للثانية وضرورية لها، وتعتبر الأساس المتين لتحرر الإنسان بشكل إيجابي، كما أن علاقة الحرية باغتراب الإنسان عن ذاته

مرتبطة بثلاث مستويات، كما أشار إليها حسن حماد، الانفصال عن الطبيعة، الانفصال عن روابط الأمانة وكذا الانفصال عن مجتمع العصور الوسطى ونمو الرأسمالية.

2. شروط التغيير و ملامح التجديد:

ما يميز كتابات فروم ودراساته خاصة المتعلقة بمشكلة الاعترا ب هو أنه وقف أمامها كما يقف الطبيب أمام المريض، يشخص المرض ويقابله بعد ذلك بسبل العلاج، هو كذلك حاول الوقوف على أهم مرض صار يهدد كيان الإنسان المعاصر وعمل على فهم طبيعته، وتبيان عوامله وأشكاله، لينتقل بعد ذلك إلى تقديم علاج به يتم تجاوز هذا المرض - الاعترا ب - واقتحامه.

هذه المهمة الأخيرة تتأتى حسب بناءً ع ما يلي:

1.2. أنسنة الحياة الفردية والاجتماعية:

عَمَل " فروم " هنا يقوم على محاولة إحداث إصلاح شامل داخل النظام الاجتماعي من أجل أنسنة المجتمع التكنولوجي، وبالتالي إنقاذ ما تبقى من إنسانية الإنسان والوصول إلى البدائل لأضمحلال سعادة الفرد، " فمن من أجل الوصول إلى أسمى درجات النضج الإنساني يعلمنا بوذا أنه يجب ألا نشتهي ملكية شيء، و من تعاليم المسيح أن الذي يريد أن يخلص حياته يفقدها وأما الذي يفقد حياته في سبيلي فإنه يخلصها، فمادما ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وفقد نفسه أو خسرها (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 35).

نقف من خلال هذا القول على مشكلة التملك و الكينونة، هاتين الصورتين اللتين تتجاذبان الإنسان وتشكلان شخصيته على أرض الواقع يقول عنهما فروم "أسلوبين أساسيين للوجود، نوعين مختلفين للتوجه الإنساني نحو النفس و العالم، صنفين مختلفين من بناء الشخصية، تحدد غلبة أيهما أفكار الشخص ومشاعره وتصرفاته (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 43) والفرق بين التملك و الكينونة رغم أنهما أساسيان للوجود، فإن الأول يشير إلى ذلك الأسلوب المهيمن في المجتمع الصناعي الحديث رأسماليا كان أو شيوعيا وهو يخلص كل صور التملك المادي وامتلاك الأشياء و الذي يقوم على أساس غير أخلاقه ولا إنسانية بالرغم أن التملك غريزة طبيعية وسلوك ملتصق بالإنسان ويظهر في كل مناحي حياته، لأن حياة الفرد تُبنى على ما يمتلكه من الأشياء وان لذة الحياة تتأسس على ذلك. ومن أهم أشكال التملك هو الاستهلاك وربما هو أكثرها أهمية في مجتمعات الوفرة الصناعية المعاصرة، والاستهلاك عملية لها سمات متناقضة، فهو عملية تخفف القلق (...) ولكن العملية تدفع الإنسان إلى مزيد من الاستهلاك، لأن كل استهلاك سابق سرعان ما يفقد تأثيره الإشباعي وهكذا فإن هوية المستهلك المعاصر تتلخص في الصيغة الآتية: أنا موجود بقدر ما أملك واستهلك " (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 47)

أما الأسلوب الثاني -الكينونة - فهو نمط يهتم فيه الإنسان بنوعية علاقاته مع الناس والأشياء ويتجلى ذلك في الشعور بمتعة التجربة المشتركة والقيام بالأعمال المنتجة وتُغلب فيه كفة القيم الإنسانية الأخلاقية على القيم المادية، وهذا النمط الذي يشكل جوهر اليوتوبيا الفرومية يقوم على جملة من الركائز والمقومات أهمها؛ التعبير عن الذات، الفعالية والنشاط، العلاقة مع الآخرين، التضحية من أجلهم ثم الحب واحترام الحياة.

"وعند اعتبار أسلوب الكينونة يجب أن نتبين شكلين من هذا الأسلوب: الأول هو نقيض التملك، ويعني الحيوية والارتباط بروابط حقيقية أصلية بالعالم، والشكل الآخر للكينونة هو نقيض المظهر، ويعني الجوهر الصادق الحقيقي للشخص أو الشيء كنقيض للمظهر الخادع (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 44.43) واستنادا إلى ضبط مفهوم هذين الأسلوبين يتضح أن الفرق بينهما هو الفرق بين مجتمع محوره الأساسي الإنسان ومجتمع محوره الأشياء وشتان بين ذلك، نمطك أو نكون؟. ويبدو أن ما يعطي معنى للحياة ليس هو إرضاء غريزة الملكية بل على النقيض من ذلك الخروج من الذات نحو الآخرين، والانتقال من التملك إلى الكينونة هو انتقال من حاجات بيولوجية إلى الحاجات الإنسانية أو من الحيوان إلى الإنسان وهذا النمط - الكينونة- لا يمكن أن ينمو "إلا بقدر ما يتقلص نمط التملك، أي هو نمط اللاكينونة، أي بقدر ما نكف عن تلمس أمننا و ذواتنا في التعلق بما نملك والتعود عليه، والتشبث بذواتنا وممتلكاتنا ومقنناتنا، إن الأمر يتطلب نبذ الأنانية وحب الذات (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 93)، هكذا يتحول المجتمع الغربي المريض والقائم على الصناعة والتقنية إلى مجتمع إنساني.

وعلى مسافة قريبة من مشكلة الامتلاك والكينونة وفي إطار أنسنة الحياة وبناء إنسان سليم يقول "فروم" بأهمية الدين والإيمان كوسيلة لمحاربة الصنمية وعبادة الأشياء، " وفي الحقيقة طالما أن الإنسان هو أيضا حيوان، فإنه محتاج أولا إلى

إشباع احتياجاته المادية، لكن تاريخه هو سجل للبحث والتعبير عن احتياجاته التي تتجاوز بقاءه، على نحو ما في فن التصوير والبحث، في الأسطورة والدراما، في الموسيقى والرقص، والدين هو على الأقصى النسق الوحيد الذي يجسم هذه الجوانب من الوجود الإنساني. (فروم، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، 2010، صفحة 203)

إن الإنسان الحديث بحاجة إلى بعث وتجديد الجانب النفسي والروحي خاصة، بناءً على أنه سقط في قيود جديدة تتمثل في العبادة الصنمية، فقد تحرر الإنسان من أصنامه التقليدية ليصبح عبداً لأصنامه الجديدة؛ كالزعماء، الأنظمة، الدولة، المال، الإنتاج، القانون، ... وكل شيء صنعه الإنسان.

و الدين عند "فروم" يشمل " أي مذهب للفكر والعمل تشترك فيه جماعة ما، ويعطي للفرد إطاراً للتوجيه وموضوعاً للعبادة" (فروم، الدين والتحليل النفسي، 2003، صفحة 25)

وهو في المقابل-فروم- يؤكد على فشل الدين وعجزه عن إنقاذ الإنسان، بناءً على أن مهمة الدين هي إنقاذ الإنسان من الانتكاس والرجوع إلى عبادة الأصنام في صورتها التقليدية، لا سيما الدين التوحيدي، خاصة إذا عرفنا خضوعه للسلطة الزمنية وتحالفه معها، بل انهزامه من أمام السلطان الديني وتبشيريه بقيم تسلطية غير إنسانية. (فروم، الدين والتحليل النفسي، 2003، صفحة 35)

وفي إطار بحثه عند الدين الذي يسمو بالإنسان ويحفظ كرامته يؤكد أن المسألة " ليست ديناً أو لا دين، بل أي نوع من الدين. هل هو النوع الذي يساعد على تطور الإنسان وعلى الكشف عن قواه الإنسانية الخاصة به كإنسان أم هو من النوع الذي يصيب هذه القوى بالشلل" (فروم، الدين والتحليل النفسي، 2003، صفحة 99)

ووفقاً لمعيار الإنسانية ميز " فروم" بين نمطين من الدين، الدين التسلطي الذي يعترف بوجود قوة خفية تتحكم في الإنسان، الذي عليه فقط واجب الطاعة والعبادة، وبالتالي يفقد فيه الإنسان كل حقوقه الإنسانية، أما الدين الإنساني فهو النموذج الأرقى الذي يؤكد القوى الإنسانية ويعمل على تمجيد الإنسان والإعلاء من شأنه، وهو دين مبني على لغة الإيمان وصحة الاعتقاد، " ذلك النوع الأول من الدين يجعل من الطاعة العمياء فضيلة رئيسية، ولأنه يحول الإنسان إلى كائن ضعيف عاجز (...). أما الدين الآخر، أي هذا الدين المفعم بالإنسانية والذي يشدد على قدرة الإنسان وطبيعته الخيرة، هذا الدين لا يتطلب الطاعة الخاملة بل يحض على تحقيق المرء لكل طاقاته الإنسانية فهو الدين الذي يدافع عنه. (فروم، اللغة المنسية، 1995، صفحة 96). من هنا تتضح التجربة الدينية التي ينشدها فروم ويسعى إلى أن تكون ميزة المجتمع الجديد. ومن الأمثلة التي يقدمها عن هذا الدين الإنساني " البوذية المبكرة، الطاوية، وتعاليم المسيح وسقراط سبينوزا، وبعض الاتجاهات في الديانتين اليهودية والمسيحية (وخاصة في التصوف)، ودين العقل الذي نادى به الثورة الفرنسية" (فروم، الدين والتحليل النفسي، 2003، صفحة 38)، لأن هذه التجارب الدينية المختلفة سواءً كانت تأليهية أولاً، حتى وإن كانت مذاهب فلسفية ذات طابع ديني، هدفها هو جعل الإنسان غاية لا وسيلة، على خلاف ما تسعى إليه الأديان التسلطية في صورها المختلفة.

والاغتراب كمشكلة ومرض يعاني منه الإنسان في المجتمع المعاصر وثيق الصلة بالجانب الروحي، إذ يعتبر نتيجة من نتائج الخواء الروحي "ومن ثم فإن الإنسان الحديث كما يرى فروم بحاجة إلى بعث الإيمان، مثلما هو بحاجة إلى بزوغ الأمل، وإذا تحدثنا عن الإيمان فإننا يجب أن نوضح أن فروم يفرق بين نوعين منه؛ إيمان عقلي وإيمان لا عقلي" (حماد، 2005، صفحة 55)، يتميز الإيمان العقلي بأنه إنساني يقوم على الثقة والاستقلالية وعدم الخضوع لأي معبودات صنمية، أما الثاني -اللاعقلي- فإن أهم ما يتسم به أنه لا يقول بالعقل كوسيلة للتمييز وإنما هو يعتمد فقط على التسليم والخضوع دون سند عقلي.

هكذا دعا فروم إلى دين ينير للإنسانية طريقها ويعلى من قيمها، دين مرادف للحياة ومقدس للإنسان ويدفع إلى التطور والرقي الحضاري.

2.2. المجتمع السوي والاشتراكية الإنسانية:

تجاوز الاغتراب لدى "فروم" مشروط ببناء وتحقيق مجتمع إنساني مناسب لنمو الفرد بطريقة سليمة وسوية، لذلك نجده يتساءل في كتابه " الإنسان بين الجوهر والمظهر": هل لا تزال أمامنا فرصة معقولة لإقامة مجتمع جديد؟

ويجيب بدوره عن ذلك بقوله: " إذا كان من الممكن خلق مجتمع جديد فإن الأمر يتطلب أولاً الوعي بالصعوبات التي تعترض المحاولة، والتي تكاد مواجهتها ترقى إلى مستوى الاستحالة، وربما كان الإدراك الغامض لهذه الصعوبات سبباً أساسياً من الأسباب التي جعلت الجهود المبذولة قليلة جداً لإحداث التغييرات الضرورية. (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 185)

وهذا المجتمع الذي يسعى "فروم" لتشييده ويهدف إلى تحقيقه هو بناء متجانس تتنوع فيه المجالات التي يتربط منها، و يقوم على جملة من الشروط و المبادئ، هو مجتمع يوصف عادة بالمثالي و يسمى بـ"يوتوبيا فروم"، بناؤه مرهون بوعي الإنسان أنه لا يوجد مطلقاً ما هو من طبيعة الإنسان و يكون في الوقت ذاته عائفاً أمام مهمة تشييد هذا المجتمع الكامل و السليم، بناءً على أن الإنسان يستطيع امتلاك المعرفة اللازمة لخوض العملية، يقول فروم: "إن مشكلات التغيير الاجتماعي لا تستعصي على الحل – نظرياً و عملياً- مثلها مثل المشكلات العلمية التي استطاع علماء الكيمياء و الطبيعة حلها... فحتى لو طبقنا جانباً صغيراً من العقل و من الإدراك العلمي الذي نستخدمه في حل مشكلات العلوم الطبيعية على المشكلات الإنسانية، فسوف يسمح لنا ذلك بمتابعة المهمة التي كان يفخر بها أسلافنا في القرن الثامن عشر" (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، صفحة 185). كما يوجد مبدأ آخر تقوم عليه فلسفة التغيير عند فروم نلمسه في جزئيتين هما ما يسميه بفانون "التقدم المتزامن" و الذي يعني أن الإصلاح يجب أن يتم بشكل متزامن في كل الجهات و الجوانب، و أسلوب التغيير الذي به سيتم بناء هذا المجتمع المنشود و الذي يجمع فيه فروم بين الإصلاح و الثورة و لا يرى أي ضرورة للتمييز بين الصورتين.

و كيف هي بنية المجتمع السوي؟ يقول فروم "هو المجتمع الذي لا يكون فيه الإنسان وسيلة لغايات إنسان آخر، بل يكون دائماً من دون استثناء غاية في ذاته، و من ثم هو المجتمع الذي لا يُستخدم فيه أي شخص، ولا يستخدم نفسه لمقاصد غير تفتح قدراته الإنسانية (...). و المجتمع السوي هو المجتمع الذي لا تكون فيه لصفات كالشج و الاستغالية و التملكية و النرجسية فرصة تُستخدم من أجل الكسب المادي الأكبر أو لزيادة جاه المرء الشخصي" (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 397)، و نفهم من ذلك أن هذا المجتمع يقوم على استبعاد كل صور الاستغلال – استغلال الإنسان لأخيه الإنسان- و هنا تظهر النزعة الإنسانية لمشروع "فروم". وربما هذا له ارتباط وثيق بمشكلة التملك و الكينونة، الامتلاك أو الوجود التي تدخل في دائرة الأسس النفسية لهذا المجتمع الجديد.

من يعيش في هذا المجتمع؟ "الشخص الذي يصل نفسه بالعالم بمحبة و يستخدم عقله لفهم الواقع بموضوعية، و الذي يخبر نفسه بوصفه كياناً فردياً فريداً ويشعر في الوقت عينه بوحدته مع أخيه الإنسان، و الذي لا يخضع لسلطة غير عقلية، و يقبل السلطة العقلية للعقل و الضمير بطيب نفس... " (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 396) هذا الإنسان محب للحياة، ينظر إلى المستقبل، عازم على التغيير، متحد مع أخيه، رغم فقره و خصوصيته، متفتح العقل، يشجع النشاط الإنتاجي...، كل هذا يتمحور حول الإنسان الجديد في هذا المجتمع.

أما النظام الذي يسير وفقه فهو يقوم على إصلاحات و ترتيبات تشمل قطاعات عديدة و لا تقتصر على بعضها فقط، يصطلح عليه فروم بالاشتراكية الإنسانية التي تسعى إلى إعادة تنظيم الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في اتجاه تحرير الإنسان و خدمته و تحقيق مجتمع أساسه العلاقات الإنسانية لا الإنتاجية، مجتمع يميزه التضامن و الإنتاج.

هذه الاشتراكية الإنسانية تقوم على عدة أسس و ركائز هدفها إصلاح المجتمع وهي تمس جملة من المجالات و القطاعات أهمها:

- الحياة الاقتصادية: رغم أن تنظيم هذا الجانب و بالتالي تحقيق الاشتراكية في الحياة تعترضه عوائق و صعوبات منها ما يتعلق بطبيعة العمل الذي هو محور العملية الاقتصادية، و منها ما هو مرتبط بطبيعة الإنسان – العامل- إلا أنه يمكن تجاوز ذلك بتفعيل الدور الإيجابي للإنسان في العملية الإنتاجية و في إدارتها من جهة و من جهة أخرى تغيير طبيعة العمل الاجتماعية، "إذ أن للعمل وجهين، أحدهما عمل فني لا يمكن تعديله و الآخر اجتماعي يتعلق بعلاقة العامل بالعمل و صاحب العمل و زملائه فيه، و هذا الوجه يقبل التعديل بحيث يحبب العامل بعمله و يجذب إليه" (فروم، المجتمع السليم، 1960، صفحة 209)، و يمكن أن نلخص أهم ملامح الإصلاح الاقتصادي عند فروم فيما يلي:

- تعديل قيمة العمل اجتماعياً و فنياً

- إشراك العامل في تسيير عملية الإنتاج و حتى في الإدارة و سن القرارات (الإدارة المشتركة).

- الجمع والمزج بين المركزية واللامركزية.

- خدمة الناس هي الغاية وليس جني المال والربح.

- توجيه الإنتاج لتحقيق نوع جديد من الاستهلاك وهو الاستهلاك الرشيد (الاستعمال الصحي).

- لا يجب أن يعيش الإنسان في حالة من الفقرة تفقده أدميته كما يجب ألا يعيش ككائن استهلاكي، وبالتالي الموازنة بين الإنتاج والاستهلاك.

هذه النقاط و أخرى تعبر عن الخطوط العريضة للخطة الاقتصادية التي قدمها إريك فروم، و تبقى هذه الإجراءات في حاجة إلى مسار زمني منهجي يجعل من الأهداف نتائج عملية، " إن هذه التغييرات لا يمكن إجرائها إلا بالتدرج و برضى الأغلبية، و لكن تراكمها يرقى إلى درجة تشكيل نظام اقتصادي جديد يختلف عن الرأسمالية الحالية بقدر ما يختلف عن نظام رأسمالية الدولة المركزية في الاتحاد السوفيتي" (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 192)، و تتضح من هذا أيضا أن تشييد هذه الصورة الجديدة من الاشتراكية جاء على أنقاض نقد فروم للتجربة الاشتراكية في صورتها التقليدية سواء في أوروبا أو في روسيا.

● الحياة السياسية: إن جوهر أي مجتمع و أي كيان سياسي يقوم على صورة النظام السياسي القائم، و ما دامت الديمقراطية هي الصورة الحديثة لذلك، فقد انطلق "فروم" في ذلك من خلال الحديث عن الديمقراطية التي يقول عنها " لا يمكن أن تعمل في مجتمع مغترب و أن الطريقة التي تنظم بها ديمقراطيتنا تُسهم في عملية الاغتراب العامة " (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 465) لذا كان من الواجب إحداث تغييرات و إقامة إصلاحات لتحويلها إلى صورة جديدة تتحقق من خلالها إرادة الأفراد لذلك نجده ينادي بالديمقراطية المبنية على المشاركة و اللامركزية و يؤكد على ضرورة تفعيلها: " ديمقراطية مشاركة، حيث شؤون الجماعة قريبة إلى قلوب المواطنين و تهمهم بالقدر نفسه الذي تهمهم به شؤونهم الخاصة، أو بتعبير أفضل حيث تكون مصالح الجماعة هي هدف كل فرد من أفرادها، إن ديمقراطية المشاركة على عكس الديمقراطيات الشعبوية والديمقراطية المركزية، ستكون بطبيعتها غير بيروقراطية، كما أنها تخلق مناخا لا يسمح بظهور الديماغوجيين (الدعاة الكاذبين) (فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، صفحة 195)، و يرى أن تحقيق هذه الديمقراطية يستوجب وضع و رسم مخططات، و هذا هو الشيء الأصعب و لكنه يسهل بتضافر الجهود من أجل وضع مبادئ جديدة و إبداع وسائل جديدة أيضا.

● الحياة الثقافية: ينطلق فروم في إصلاح المجال الثقافي من خلال تركيزه الكبير على التعليم والشأن التربوي عموما، الذي من شأنه بعث القيم الإنسانية وإصلاح الفرد نفسيا وعمليا، " لا بد أن يحدث تغيير شديد في منهجنا التعليمي، بمعنى أن يكون التعليم النظري والممارسة العملية متحدين منذ البداية ... ولكن لا يجوز في أية سن أن يفصل المجالان عن بعضهما البعض" (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 472). وإلى جانب التعليم يشدد فروم على أهمية الفن ومكانته في تحقيق الانسجام والتوازن بين الجانب العقلي والروحي للإنسان، إذ "لا يمكن للإنسان أن يخرج من نطاق الحياة السلبية إل نقاط الحياة الإيجابية المنتجة إلا إذا وصل نفسه بالعالم وصلا فنيا، وليس فلسفيا أو علميا فحسب" (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 474)

ويرى أيضا أن الإصلاح الثقافي مرتبط بالدين كمقوم من مقومات المجتمع السليم، منه يستلهم الإنسان مجمل مكامن القوة والعمل على تعزيزها وتقويتها، وبذلك فهو يعتقد بإنسانية الظاهرة الدينية.

3.2. الحب كحل للأزمة الراهنة:

قد أشرنا في تحليلنا لمشكلة العبادة الصنمية أن الإنسان يتنازل عن ذاته هروبا من الوحدة والعزلة ويرتمي في أحضان أصنام حديثة تظهر في صور كثيرة نذكر منها الزعيم أو الدولة أو القانون ...، تجاوز هذا الوضع الراهن يتحقق حسب فروم عن طريق أساسي هو الحب الذي يقول عنه " إن أية نظرية عن الحب يجب أن تبدأ بنظرية عن الوجود الإنساني" (فروم، فن الحب، 2000، صفحة 19) والحب كما ينظر إليه هو مرتبط بعملية الاتحاد والتواصل مع الذات ومع الآخرين وحتى مع العالم بشرط المحافظة على الخصوصيات ودون انحاء الذات وذوبانها في الآخر، وما يهم هو الصفة المميزة للحب وليس موضوعه باعتباره متواجد في التضامن الإنساني، ولا يكون الحب ممكنا في نظره إلا إذا تواصل شخصان معا من مركز وجودهما، فهو اتحاد وعمل مشترك وهو بصورة أخرى تنظيم عقلي للأحاسيس انطلاقا من أنه كثيرا ما يقرن بين الحب والعقل " فالحب هو اتحاد المرء مع شخص أو شيء خارجه، على شرط إبقائه على انفصال ذاته وسلامتها، إنه تجربة المشاركة والاشتراك التي تسمح بالفتح الكامل لنشاط الإنسان الداخلي، وتجربة الحب تتخلص من

ضرورة الأوهام فلا ضرورة لتضخيم صورة الشخص الآخر أو تضخيم نفسي" (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 137).

أما عن صور الحب التي ينطبق عليها هذا المفهوم هي كثيرة -حسبه- كما في " الحب الجنسي بين الرجل والمرأة، وفي حب الأم للطفل وكذلك في حب المرء لذاته بوصفه إنساناً، وهو في خبرة الإتحاد الصوفية، وفي فعل الحب أكون مع "الكل" ومع ذلك أكون مع نفسي إنساناً فريداً، منفصلاً، محدوداً، فانياً" (فروم، المجتمع السوي، 2009، صفحة 137).

كما يربط فروم بين الحب وبين ما يسميه بالتوجه الإنتاجي، هذا الأخير يعتبره أحد جوانب الحب وواحد من أهم مستوياته، وهو شكل ونمط من أنماط الطبع يختلف عن تلك الأنماط والتوجهات غير الإنتاجية كالتوجه التلقفي، التوجه الاستغلالي، الادخاري والتسويقي، " ويشير التوجه الإنتاجي في الشخصية إلى موقف أساسي، إلى طريقة اتصال في كل مجالات الخبرة البشرية، وهي تشمل استجابات المرء العقلية والانفعالية والحسية للآخرين ولنفسه وللأشياء" (فروم، الإنسان من أجل ذاته، 2007، صفحة 116.115).

ومن الصفات العامة المميزة له ارتباطه بالإبداع، وهدفه التنشئة الإنسانية، وفي الوقت ذاته يتأسس على مقومات عقلية مستندا على مبدأ الحرية. كما يمكن أن نميز الحب الفرومي أو الحب المنتج عن بقية الأشكال الأخرى للحب أو عن الحب بمعناه البسيط والمتداول من خلال عناصر أساسية- يشير إليها فروم- وهي الرعاية، المسؤولية وكذا الاحترام والمعرفة.

نفهم من هذا أن الارتباط الصحيح بالآخرين حسب فروم مرهون بإحداث وحدة عميقة معهم، وأن الإغتراب هو نتيجة لغياب هذا الشكل من الارتباط بالغير. وعليه فالحب هو الذي يجعل من الارتباط سليماً، وعليه فلا مناص من القول بأن للحب دور كبير في بناء القيم الإنسانية والتعبير عن الوجود الإنساني، فهو يبقى علاقة سامية وضرورة من ضروريات حياة الإنسان واستمراريته، لذلك نجد "فروم" دائماً ما يدعو إليه -الحب- من أجل حل أزمة الإنسان المعاصر.

إن الإنسان عندما أصبح إنساناً قد تمزقت لديه عرى الوحدة الحيوانية الأولية بالطبيعة ... أصبح على الإنسان أن يخلق علاقته الخاصة به، وأكثرها تحقيقاً للإشباع هي تلك القائمة على الحب الخلاق. هو في الأخير ذلك الحب الذي يحمي الإنسانية ويخلص الفرد من كل القيود وينزعه عن كل صور الخضوع.

3. النتائج ومناقشتها:

ما يمكن الوقوف عليه في الأخير بناء على ما تقدم أن أزمة الإنسان المعاصر ومشكلته في المجتمع الصناعي تتمحور حول الاغتراب بأشكاله المختلفة ومادامت هي مشكلة ذات طابع شمولي فإن علاجها وحلها أيضا سيكون شاملا لكل المجالات وملامسا لمعظم زوايا حياة الإنسان، وذلك ما لمسناه في الثورة التي أخذها إريك فروم على عاتقه ومهمة التغيير التي رسم خطوطها ووضع شروطها. هذا ما يجعلنا نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-خطاب فروم يختلف عن خطاب وفكر رواد مدرسة فرانكفورت الذي اتسم بطابع التشاؤم والنقد الجذري في حين كان عمله يتجاوز ذلك إلى الإصلاح بل أكثر من ذلك إلى الثورة ضد كل ما من شأنه أن يمس بكرامة الإنسان ويزعزع مكانته كمركز للوجود، هو ببساطة إصلاح يتغلغل إلى الجذور.

-العمل الذي قام به "فروم" يعتبر بحق منعرج هام في أفق الدراسات الاجتماعية والنفسية، الهدف منه إقامة نسق قيمي للإنسان المعاصر، ما يؤكد أن البنية النفسية والاجتماعية لهذا الإنسان هي التي تقف وراء أزمته، وفي تغييرها وتعديلها يكمن الحل والعلاج .

-مهمة إقامة مجتمع سليم وسوي ليست بالمهمة الهينة وإنما هي تحتاج إلى إرادات مختلفة تحمل في ثناياها نية نبيلة، تسعى من خلالها إلى السمو بالإنسان وإشباع حاجاته الإنسانية بالدرجة الأولى.

-الخوض في تحليل ظاهرة الاغتراب والبحث عن الأسباب الكامنة وراءها أو بالأحرى بواعثها لم تكن هدفا مباشرا لفروم، وإنما كان ذلك وسيلة لكشف تناقضات المجتمع الغربي المعاصر وفضح مزلق الحداثة.

-تُظهر هذه المشكلة بصورة جلية النزعة الإنسانية لفروم، وعناوين مؤلفاته تكفي كشاهد على ذلك: كينونة الإنسان، الإنسان بين الجوهر والمظهر، حب الحياة، فن الحب، المجتمع السوي، الإنسان من أجل ذاته، وغيرها كثير، فيها يبحث عن مشكلات الإنسان الجديدة، ويسعى إلى تحليل منجزات الحضارة العلمية.

الخلاصة:

وكخلاصة لما سبق تحليله والبحث فيه، يمكن أن ننهي بالفكرة التي بدأنا بها وهي أن عالم التطور التقني خاصة والاستخدامات اللاعقلية لهذا الجانب، جعلت وضع الإنسان في هذه الحضارة موضع تساؤل ونقد. فهو أصبح كأننا مسلوب الإرادة، منقادا لا حول ولا قوة له إلا المزيد من اقتناء السلع، ليختصر وجوده فيم يملك أشياء.

هكذا صار التغيير والإصلاح وبالتالي كشف خلل هذه الحضارة مهمة أساسية لإريك فروم الذي استطاع انطلاقا من تشخيص مرض الإنسان، مفهوما، بواعثا، مظاهرا وأشكالا، أن يضع إستراتيجية متكاملة الجوانب هدفها إحداث تغييرات في البنية النفسية والاجتماعية للإنسان، وغير منفصلة عن البناء الاقتصادي والسياسي والثقافي. وقد وضع لهذه العملية شروط وضوابط من شأنها إعادة بناء فرد سليم ومجتمع سوي وبالتالي كجواب على سؤاله الذي طرحه في كتاب " الإنسان بين الجوهر والمظهر، يقول نعم لا تزال أمامنا فرصة معقولة لإقامة مجتمع جديد. مجتمع أهم ما يميزه عدم اغتراب الإنسان عن نفسه وعن الآخرين، وذلك لن يأتى للإنسان إلا إذا أخذ الترياق الذي يقدمه "فروم"، رغم أن البعض يرى في اقتراحاته لتحقيق مجتمع سوي أنها اقتراحات مثالية يصعب تطبيقها وتنفيذها، وكأنها حسبهم تشبه إلى حد بعيد تصورات بعض الفلاسفة من قبيل المجتمع الفاضل والمدنية المثالية ويبقى الإنسان المعاصر يتوق إلى الانعتاق من أزمة الاغتراب

مادام الأمل العقلاني في إحياء القيم الإنسانية قائما، ومادام المجتمع أساسه قيم المنطق الحيوية، فخواء الحياة الروحية وسيطرة الدعاية والإعلام، وسطوة التقنية وثقافة الموت الصناعية ولغة التملك والاستهلاك، والحرية السلبية، وجاذبية السكون و اللاحركة، والاعتراب والحب المزيف ... كلها ملامح لهذا المجتمع المريض استطاع فروم أن يجد لها ما يقابلها كعلاج وكتجاوز،

فهو لم يمارس التشخيص فقط وإنما ساهم في تشكيل العلاج والدواء فانتقل بذلك من الاعتراب إلى آليات المواجهة، من نقد الدين التسلطي إلى الدين الإنساني ومن نقد التسلط السياسي إلى أنسنة السياسة، ومن الحب المزيف إلى الحب التشاركي. هذا هو جواب أزمة الإنسان المعاصر (الاعتراب) .

الإحالات والمراجع:

- اريك فروم. (1989). *الإنسان بين الجوهر والمظهر* (الإصدار 1). (سعد زهران، المترجمون) الكويت: عالم المعرفة.
- اريك فروم. (2007). *الإنسان من أجل ذاته*. (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون).
- اريك فروم. (1972). *الخوف من الحرية* (الإصدار 1). (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للنشر.
- اريك فروم. (2003). *الدين والتحليل النفسي*. (فؤاد كمال، المترجمون) القاهرة، مصر: دار غريب للطباعة.
- اريك فروم. (1995). *اللغة المنسية* (الإصدار 1). (حسن قبيسي، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي الغربي.
- اريك فروم. (1960). *المجتمع السليم*. (محمود محمود، المترجمون) القاهرة: مصر. مكتبة الأنجلو المصرية.
- اريك فروم. (2009). *المجتمع السوي* (الإصدار 1). (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون)
- اريك فروم. (2010). *ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسة* (الإصدار 1). (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) القاهرة: دار الكلمة.
- اريك فروم. (2000). *فن الحب*. (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار العودة.
- بن عامر حكيمة. (2000). اريك فروم و مشروع فرانكفورت النقدي. *مجلة مركز نماء للبحوث و الدراسات (العدد137)*.
- بهاء الدين السيد عبيد ماجدة. (2008). *الضغط النفسي و مشكلاته و أثره على الصحة*. عمان: دار الصفاء.
- جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- حسن حماد. (2005). *الإنسان المغترب عند اريك فروم*. القاهرة، مصر: مكتبة دار الكلمة.
- حليم بركات. (2006). *الاعتراب في الثقافة العربية*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فيصل عباس. (2008). *الاعتراب (الإنسان النعاصر و شقاء الوعي)*. بيروت، لبنان: دار المنهل اللبناني.
- كمال بومنتير. (2010). *التنظيرية النقدية لمدرسة فرانكفورت*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- لزهر مساعدي. (2013). *نظرية الاعتراب من المنظورين العربي والغربي*. الجزائر، الجزائر: دار الخلدونية للنشر.
- محمد خليفة عبد اللطيف. (2003). *دراسات في سيكولوجية الاعتراب*. القاهرة، مصر.
- نظمي رف بك. (2008). *الحب الرومنسي بين الفلسفة و الدين*. العراق: دار فارس للطباعة والنشر.

